المأمونة ثم تنظيمها وا كتشاف العلاقات بينها . وتحديد الاسباب والنتائج منها . وبذلك يستطيع الباحث النفسي تكوين صورة كاملة او شبه كاملة عن تلك الحالة الخاصة التي يقوم بدراستها .

فهذا المنهج يرسم لنا طريق التكون النفسي الذي سلكه فرد وتمكن معه من اكتساب تلك الصفة الخاصة التي اشتهر بها . سواء أكانت نبوغاً أم تخلفاً عقلياً أم زعامة أم عدواناً أم علماً أم اجراماً. والعيادات النفسية تستخدم هذا المنهج في تشخيص الامراض النفسية لمعرفة طريق تكوينها ، والعلاج إنما يكون بالسير رجوعاً الى الوراء مع المريض لكشف ينبوع المرض وأساس العقدة ، ومنها يستأنف المريض بنفسه سيراً جديداً بحياة سوية متكاملة .

طرائق أساسية في المنهج التتبعي

يستخدم الباحث النفسي في دراسات النمو طرائق متعددة يستعين بها في تحقيق مناهجه التتبعية وأهمها ما يلي : ملاحظة السلوك الانساني ، والتجريب والقياس ، والاختبار المقنن .

ملاحظة السلوك الانساني

يقدم لنا علم النفس التكويني دراسات مفصلة في مظاهر التكوين الانفعالي والحركي والعقلي والاجتماعي ، وتشمل تلك الدراسات ميادين الاحساس والحركة والادراك والتعلم والتذكر والنسيان والغضب والحزن والرضا والخوف ، وردود الفعل والاجهاد العقلي والعضلي . وتكون تلك الدراسات بملاحظة سلوك الآخرين من ألفاظ وايماءات وأوضاع وحركات بالنسبة الى ما يحيط بهم من مؤثرات وظروف طبيعية او اصطناعية ، فاذا كانت المثيرات أو الظروف طبيعية فهي الملاحظة المقصودة المنظمة ، وإن كانت المثيرات والعوامل اصطناعية فهي التجريب ، وكلاهما يعتمد على ملاحظة السلوك لدى الآخرين .

وتتميز هذه الطريقة بأنها موضوعية تستعين بحقائق علم التشريح ووظائف

الأعضاء وما توصل إليه الطب الانساني ، وذلك ما يضمن للملاحظة شروطاً موضوعية حيادية لا تتطرق اليها عوامل الشعور الشخصي او التأمل الباطني او الرضوخ المسبق لفرضيات لمن يقوم بالملاحظة . وهذه الملاحظة هي الدعامة الاولى في تقدم العلوم الحديثة التي تقوم على دقة الملاحظة وصدق التسجيل وعميق الدراسة .

فالعالم النفسي حين يدرس التكوين النفسي للانسان عن طريقة ملاحظة السلوك للاخرين فانه يستعين باللغة او السلوك الحركي أو التعبير الانفعالي ، وبذلك يتجرد الباحث عن عواطفه الشخصية وشعوره الذاتي . وعلم النفس إذ يعترف بوجود الفروق الفردية في ردود الفعل الحركية والاستجابات الانفعالية فانه أيضاً يؤكد وجود عوامل مشتركة في الردود الانسانية واستجاباتها . .

ويستطيع الباحث النفسي القدير أن يتلبس الأفراد الآخرين الذين يلاحظهم ويختبرهم فيشعر بما يشعرون وكأنه في مقامهم ، وذلك ما يسمى بـ «التقمص الوجداني » وهو الذي ينير له الطريق لتفسير السلوك وإكمال النقص اللغوي في التعبير والأداء .

على أن بعض العلماء يرى عدم الركون التام للتقمص الوجداني ، وإنما يكتفي الباحث النفسي بتسجيل السلوك الظاهري من تعبير لغوي أو حركي أو انفعالي ويتم ذلك بملاحظة السلوك الانساني وتفسيره . والتفسير الصحيح هو نتيجة خبرة علمية ومهنية يكتسبها الباحث النفسي الضليع بعد اجراء ملاحظات واختبارات وتجارب في ميدان التكوين النفسي لاكبر عدد ممكن من الناس بحيث تجعل للنفسي عيناً ملاحظة دقيقة ماهرة تصل من مظاهر السلوك الى الدوافع والميول والاسباب ، ومن الأداء اللغوي إلى ما يجري خلفها من عمليات ادراكية أو انفعالية ، شأنه في ذلك شأن الطبيب الجسمي الماهر الذي يلحظ العرض ويسمع اقوال المريض ، أو أنه يلحظ أعراض الطفل الذي لا يتمكن من الافصاح ويستمع الى أقوال أولياء الطفل ، فيعرف الداء واسبابه وذلك ما يحذقه الطبيب الماهر دون سواه . وكذلك الباحث النفسي القدير يستطيع بعد طول مران ومراس أن يقدم صورة